اوضاع المهندسين الزراعيين في الضفة الغربية المحتلة

مقدمة

تبقى المعضلة الرئيسية التي تسيطر على فكر ووجدان واتجاهات وسلوكيات الشعب الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال الاستيطاني، هي صراعه غير المتكافيء من اجل البقاء فوق تراب وطنه. ومع استمرار وتواتر الضغوط النفسية والاقتصادية والسياسية المتتابعة والمنتظمة في شكل تراكمي خانق، تتخذ قدرة الشعب على الصمود اشكالا متعددة ومتباينة احيانا، تجعله ينفرد ويتميز عن غيره من شعوب الارض في طرق معالجته لاوضاعه الحياتية المستمرة التغيير.

ولعل اكبر الحقائق التي تواجه المجتمع الفلسطيني اليوم هي ذلك التغيير في اوضاعه وواقعه، الذي يمس صميم حياته والذي يحدث بسرعة اكبر بكثير من فكره وتوقعاته، وحتى امكاناته، مهما بلغت قدرته على الفعل ورد الفعل المنظم والمدروس، فالارض ـ مصدر الحياة ـ تتلاشى من تحت قدميه يوما بعد يوم، وهو يدفع دفعا ليواجه مشاكل متجددة في كل لحظة.

وتصبح قضية التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الفلسطيني محصورة في اضيق مفاهيمها، فهمه الأول حاليا وقضيته الرئيسية هي قضية البقاء. ولا يمكنه النظر الى مفهوم التنمية لأبعد من مفهوم الصمود.

والمهندسون الزراعيون، كأحد قطاعات المجتمع الفلسطيني، لا يختلفون في معاناتهم عن باقي المجتمع. وتظل المشكلة الرئيسية لهم هي في مقدرتهم على مواجهة الظروف المتغيرة، وتختلف هذه

المقدرة تبعا للامكانات المتاحة لهم والتي تساعدهم على تعبئة طاقاتهم الكامنة والفاعلة بهدف تمكينهم من الاستغلال المباشر او غير المباشر للموارد الطبيعية.

وتسعى هذه الورقة الى مراجعة الاطار النظري لعملية التنمية الزراعية ودور القيادات القومية والقطرية والمحلية في تفعيل العمل التنموي، والى دراسة وتحليل وضع المهندس الزراعي في الضفة الغربية واستئناف دوره في المبادأة والتخطيط والتنفيذ لدفع عجلة التنمية من اجل البقاء والصمود.

الغزو الحضاري واثره على مجمل العمل التنموي ومؤسساته

يعبر مفهوم التغيير الحضاري عن اسلوب بقاء المجتمع وقدرته على التكيف مع واقعه الجديد والمتجدد نتيجة اتصاله المباشر او غير المباشر بالحضارات المختلفة. ومثل تلك القدرة هي التي تمكنه من المحافظة على كيانه وتماسك بنيانه.

وتاريخيا، فقد تعرض المجتمع الفلسطيني الى عدة غزوات حضارية، اختلفت وسائلها من حربية او سلمية، كما اختلفت في اتصالها هدفا واسلوبا وزمانا. لكنها جميعا تركت بعض آثارها على هذا المجتمع، ولربما ترك المجتمع الفلسطيني ايضا آثاره الحضارية عليها. وقد اثبت الوجود الفلسطيني على ارضه قدرة فائقة على احتواء وتخطي جميع انواع الضغوط التي فرضت عليه. ولئن تأثر المجتمع الفلسطيني بتلك الغزوات او أثر فيها، إلا أنه ظل في المحصلة النهائية محتفظا بشخصيته وحضارته بخصائصها المميزة وبهويته الوطنية والقومية.

اما حاضرا، فقد اخذ الغزو الصهيوني يفرض حضارته فرضا وقسرا مستخدما سلطة الغازي وقدرته على الاكراه، واخذت اهدافه تنجلي يوما بعد يوم بحيث يسهل للقاصي والداني ادراك كنه ما يهدف اليه دونما عناء يذكر. فهو لا يهدف من غزوه هذا الاستنزاف الاقتصادي لثروات المجتمع، او مجرد التبادل التجاري غير المتكافيء (ولربما كان هذا هدفه في محاولات اتصاله بالاكراه والقوة احيانا بالمجتمعات المجاورة للارض الفلسطينية) بل ان التعليل الادق لهدفه من غزوه الارض والمجتمع الفلسطينيين يكمن في محاولاته الدائمة والمنتظمة لطمس الهوية الفلسطينية والاحلال المادي لمجتمع بديل مكان مجتمع اصيل. وهو يسعى لتحقيق هذا الهدف بشتى الوسائل المتاحة من استيلاء على اجزاء من الارض والموارد (ما قبل ١٩٤٨)، ومن اساليب حربية بشعة تؤدي الى الهجرة الجماعية